معارض ومسارح

النزوح في "منعطف" الفنان السوري أنَس البرَيحي

12:58 | 03-02-2024 **المصدر**: بيروت- النهار العربي

مهى سلطان

شارك على

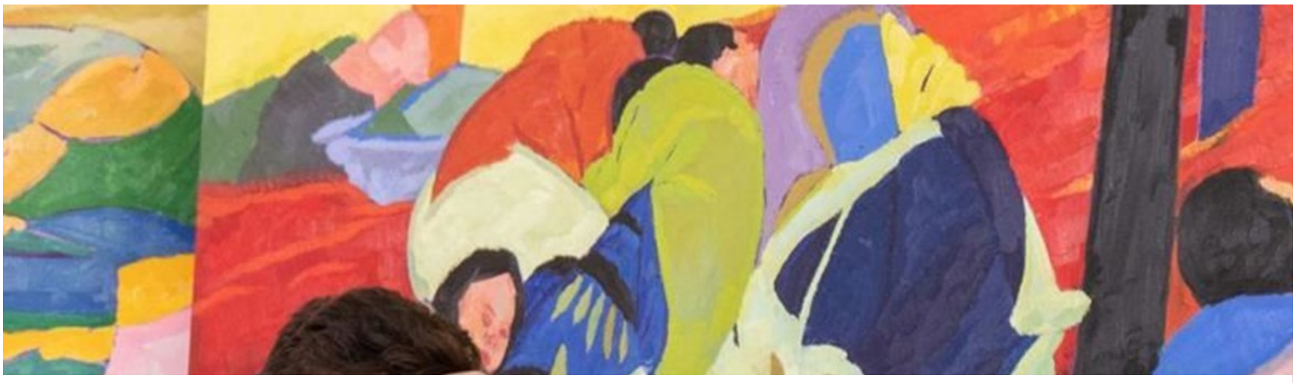

أنَس البرَيحي

-A +A

تحت عنوان "المنعطف" يقدّم الفنان السوري أنَس البرَيحي معرضه الجديد "المنعطف" في غاليري صالح بركات (يستمرّ حتى 17 الجاري)، وفيه يذهب الى الأفق البعيد في طرح مأساة النزوح بمعناها

الأعمّ والأعمق. وعبر لوحاته الجديدة، يتخطّى البريحي سردية أعماله السابقة التي جسّد فيها- بواقعية مفرطة- اكتظاظ المكان الذي يضيق بالعمال السوريين المقيمين في غرفة معيشة واحدة، يفترشون الأرض ويخلدون الى النوم وهم يتقاسمون غطاءً واحداً أحياناً، ليعاودوا في الغد أعمالهم الشاقة، نهاراتهم مثل لياليهم بعيداً من عائلاتهم وأحبائهم.

في "منعطفه" الجديد، يطرح أنَس البرَيحي معضلة التّجذر بين الممكن والاستحالة، فيقترح النوم بديلاً من اليقظة ومن الألم ووجع الفراق. فكأنّها دعوة إلى الهروب من الواقع المرير إلى أرضٍ تقع في ملكوت الأحلام، لذا هي جميلة ونائية ترابها كالزعفران وصباحها أنوارٌ وألوان ساطعة.

أرضٌ بلا حدود، ليست لأحد، وليس لها عنوان أو دليل، لا يحتاج فيها النازحون الى إقامات أو جوازات سفر، أو أوراق ثبوتية للعبور، بل ينغمرون فيها يلتحفون جبالها ويتقلّبون بين سفوحها بلا قلق، حتى يصيروا جزءاً عضوياً منها، يكملوّنها في تضاريسها وتكاوينها ويشكّلون لحمها ودمها وعظامها. لكأنّ الفنان يتأمّل في فلسفة النوم، كنقيض لفلسفة العيش، لأنّ النوم سُبات شبيه بهدأة الموت، ولأنّ الإرادة فيه معطّلة وكذلك الإدراك، ولأنّه سفرٌ في دنيا العجائب والرؤى والاستذكارات، وحوار مع الغياب ولأنّه بديل عن الحرمان من حق العيش على أرض الوطن، و"الوطن لحاف" كما كتب البرَيحي.

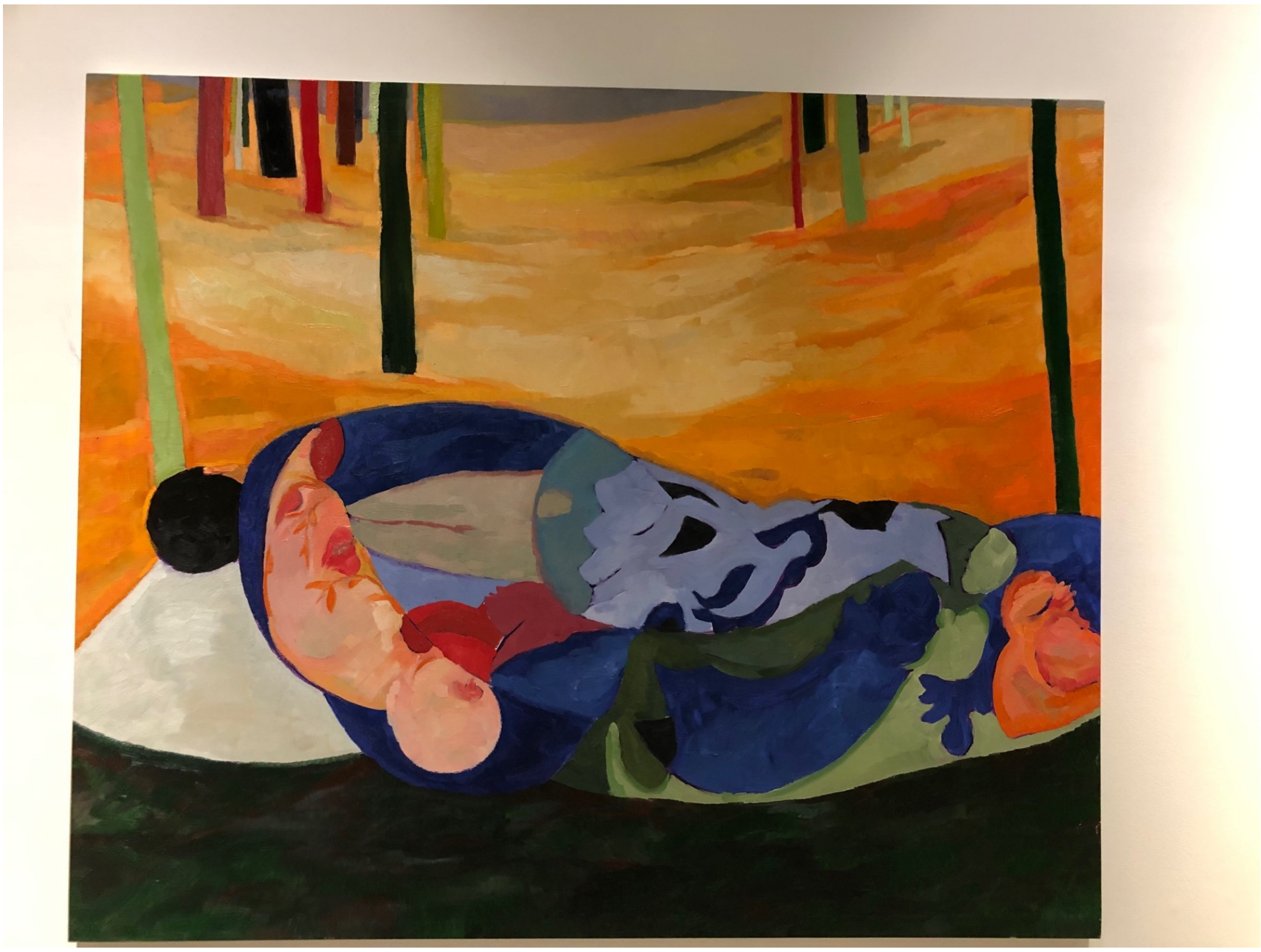

النائم في الطبيعة وزخارف اللحاف- لوحة زيتية للفنان أنس البريحي

الطرب اللونيّ

كم هو غريبٌ النوم حين يرسمه البرَيحي سعيداً ومطمئناً وعميقاً، وكم هو حزين وجميل في آن واحد حين يكون في أحضان الطبيعة، حيث يرقد تحت لحافها النائمون متحدّين بأديمها، متجذرين بصخورها، منغمسين فيها من الرأس الى القدمين، بعيداً من ظلام الليل، يحلمون في وضح النهار، وعيونهم مغلقة على الأمس- المكان، على ظلال بيوتهم وشموسها وأفيائها، على يد الأمومة الحانية بالعطف والآمال التي تحطّمت جدرانها من أهوال القصف والإنفجارات وعويل الموت. الذين ناموا على مآسيهم هل يحلمون بالصحو على واقع آخر؟. ومَن ينعطف على مَن في طروحات أنَس البرَيحي المتقاطعة ما بين الأنسان والمكان، والماضي والحاضر، والتعبير الأنَساني الموجع والشعرية البصرية، إن لم نقل الطّربية اللونية الحارة في مساءلة الجماليات شكلاً ومضموناً؟
لا أخفي إعجابي بالعُجالات (المنفّذة بالألوان الزيتية على كرتون) التي تبدّت فيها لغة التعبير أقوى من الوصف، ولغة الحركة التي طغت على الأشخاص والسرعة في التقاط المشاعر والهيئات والتموضعات، بضربات لونية حرّة، مفكّكة ومتلاحقة مرتبطة بعاطفة جياشة.

أما اللوحات الزيتية المنفّذة على قماشات متنوعة القياسات، فهي الأكثر تفكراً وحذاقة في تحقيق النطاق الجمالي لثيمة النوم التي جاءت مبنيّة على العديد من الدراسات السريعة. لا يكفي القول إنّها على مستوى كبير من المشهدية، لأنّها تأسر النظر حقاً بقوة التناقضات اللونية الحارة والمشبعة التي تتبدّى في كل مكان من الطبيعة.

الطبيعة طاغية والأنَسان جسدها وهو آفاقها وسهولها وزخرفها وبحيرات ألوانها المُتخمة بالأحمر والأزرق والأصفر، وما لها من مكِمّلات ومقامات وسلّم تدرّجات. جاءها عارياً فضمّته إلى ضلوعها وغطّته بلحاف جبالها.

على هذا التنافذ، يبني أنَس البرَيحي لوحته في توفيق بين تأليف المشهد الطبيعي وتداخل خطوطه مع أعضاء الأنَسان الراقد تحت اللحاف، تحت الهاوية بين الطيات يتحرّك ويتقلّب ويحلم كما تحلم الزهور أن تتفتح فوق زخارف لحاف منبسط كحقل ربيعي في صحراء الوجدان. ثمة منحنيات وأقواس وحافات وتضاريس والرأس غارق بين الكتفين. في مناكب الطبيعة جسدٌ واحد أو اثنين أو أكثر، في اتجاه واحد أو اتجاهات متنوعة يجمعهم النوم في غلالته البيضاء، مثل ملاءة من مصاف الغيوم أو مواكب الاحلام.

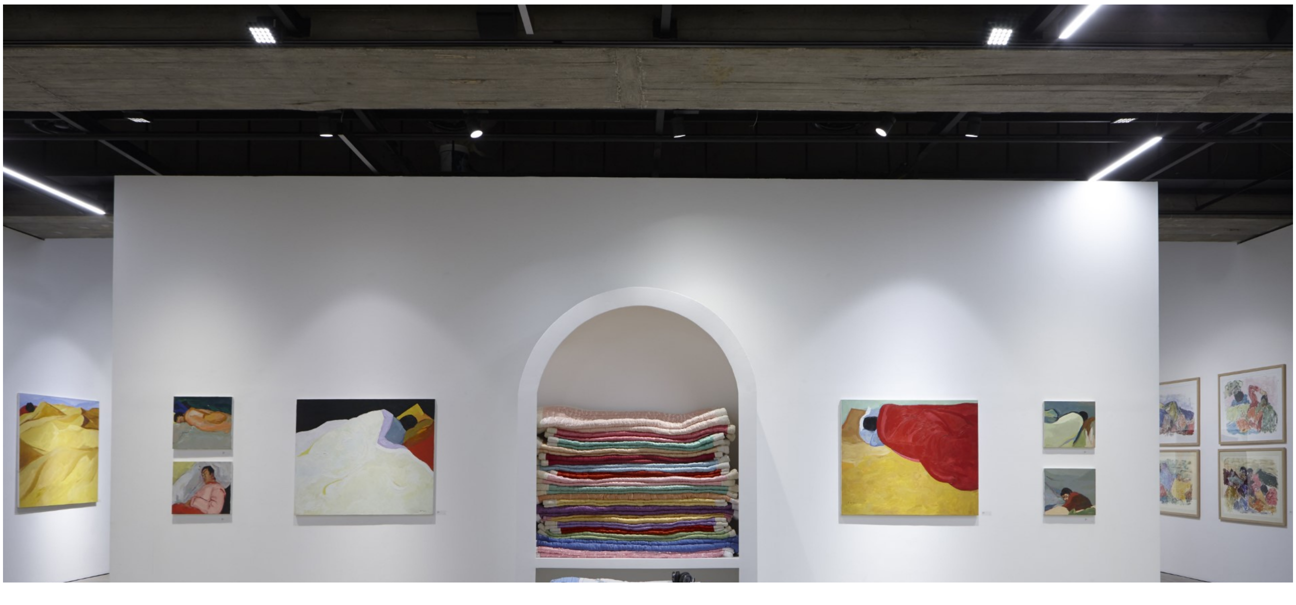

عمل تجهيزي من المعرض

فراش ولحاف

"السعداء هم النائمون" قالها الفيلسوف نيتشيه الذي ثابر على اليقظة ليحتفظ بوعيه للعالم، على النقيض فإنّ النائمين هم التعساء المؤرّقون الذين ليس لديهم مكان يلجأون اليه، بنظر أنَس البرَيحي، الذين وجدوا في النوم سعادة الهروب من الواقع الأليم، والقلق وفقدان الذات والهوية.

بالمقابل، فإنّ استعادته من خزائن الذاكرة تتبدّى في عمل تجهيزي بسيط، مكون من الوسائد والفرش، يحضر معها الحنين لحكاية المكان وبصمة بيت الطفولة في السويداء المحاط بالأشجار ودوالي العنب. فالنوم هو قصة وعي الفنان على الفقد للمكان الذي عاش فيه، لذا فهو يستذكره لوحةً يكتبها باللون والقصيدة قوله: "اختلطتْ عليَّ الصُّور، الذكريات، الأفراح والأحزان/ فصوّرتُ جسدي غارقاً بذاتي/ أردتُ للأنَسان أن ينعم بالعدل/ أردتُ أن يشعر بروحه، أردته حقيقياً/ فوجدته حين نام/ نَمْ لتصبح أصدق، نَم لأرى فيك نواة الله/ ولبّ الأرض وكينونة الحق/ نَمْ لتصبح أرضاً بروح السماء/ نَمْ لتصير لوحة تروي قصة من أراد الحقيقة فلم ينل منها إلاّ النعاس".

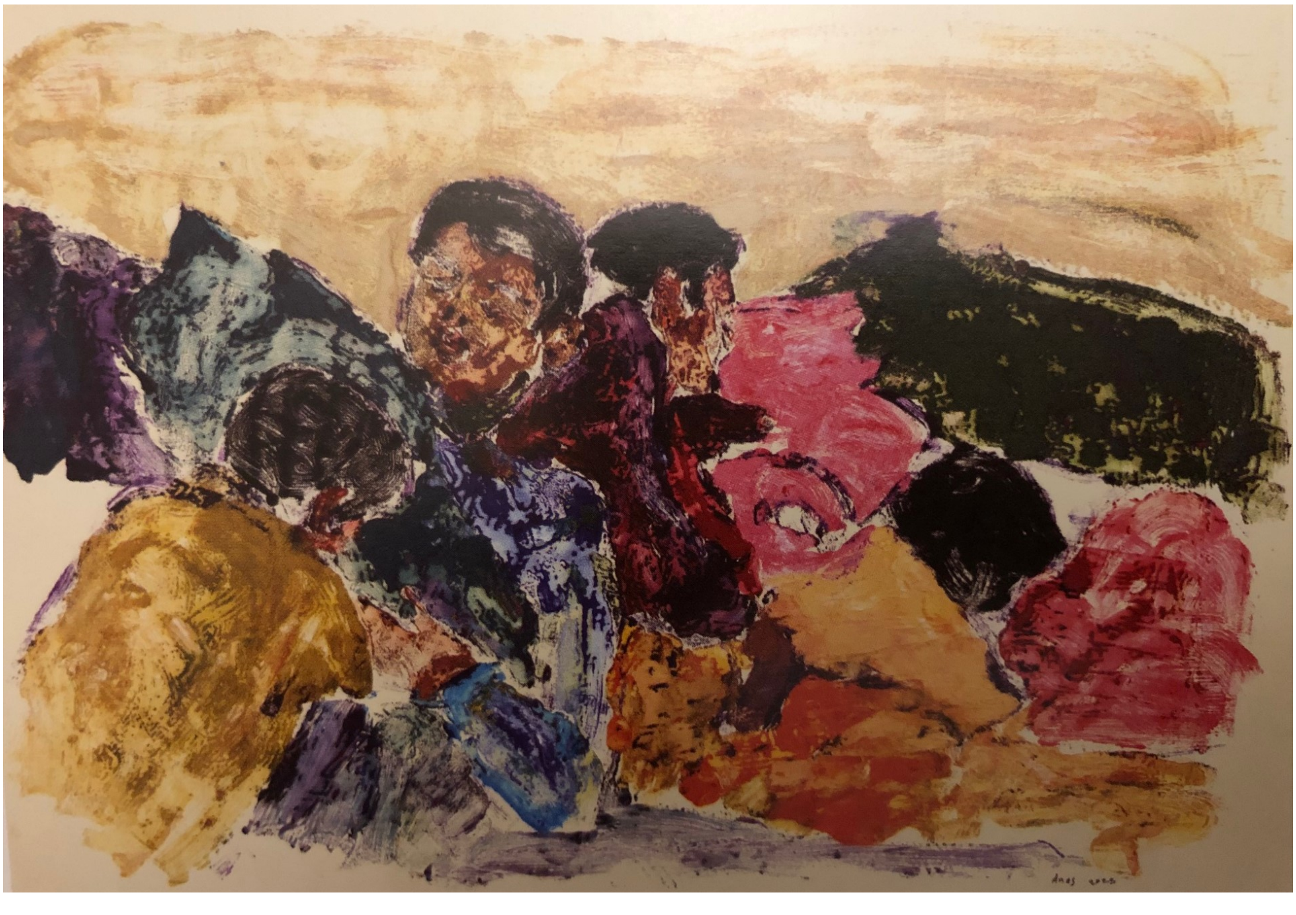

الحلم مُلهم للفن عموماً، غير انّه من مقترب أنس البرَيحي قرينٌ لراحة النفس المعذّبة من مرارة الاقتلاع، واشتياق إلى بيت الطفولة، إلى الفراش واللحاف والدفء المفقود في هذا الزمن الرديء، زمن النزوح واللجوء والتهجير القسري والتطهير العرقي والإبادة الجماعية والعبث بالخرائط الديموغرافية، زمن البؤس الذي نراه يتكرّر يومياً في مشهديات النزوح من غزة الى المجهول، الى النوم في العراء هرباً من الموت قتلاً، وفراراً إلى شِبه العَدم. صحيح أنّ النازحين يغادرون أرضهم، ولكن أرضهم لا تغادرهم، تَراهم يحملونها في قلوبهم، همومهم فوق رؤوسهم كجبال، أما متاعهم فهو قليلٌ: فراش ولحاف.

اللحاف في لوحات أنَس البرَيحي فضاءٌ بحدّ ذاته، ليس فراغاً شاغراً بل سحر تلافيف الذاكرة، يتراءى سفحاً ومنحدراً وسطحاً مائجاً لماعاً مثل الساتان، من شأنه أن يطيل زمن الحلم الموشوم بالدهشة والشجن، متحكّم في حضوره بين مسطحات متقاطعة ما بين الأفقي (رؤوس النائمين) والعمودي (جذوع الاشجار).
أحياناً يسحب اللحاف المسطح الأرضيّ نحو الأعلى ليصير امتداداً للأفق، وفي أحيانٍ اخرى يتراءى كزبد الموج الذي يتلاشى على شاطئ الرقاد، وكثيراً ما يأخذ اللحاف تأليف اللوحة كلها في اتجاهه المحوريّ حيث يتعلق الأمر بموضوع المرأة- النائمة.

من حيث لا أدري أتذكر ثيمة "النوم في الفراش" في بيوت الليل في المولان روج عند تولوز لوتريك، وبالموارِبة والاستعارة أتذكّر أسلوب إميل برنار التبسيطي في تمثيل حياة أهل الريف الفرنسي، وحرارة ألوان الطبيعة بمؤداها الرمزي الخلاّب في لوحات بول غوغان، بين هؤلاء تستبد بك طبيعة أنَس البرَيحي جمالها لا يدعُك تغمض عينيك.

الكلمات الدالة

أنَس البرَيحي

هل يمحو غبار رفح الخط الأحمر لبايدن؟

اختيارات المحرر

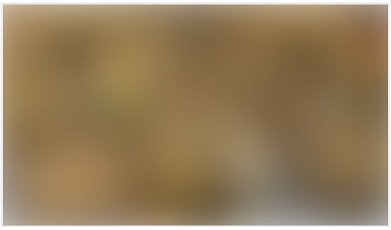

تقارير

بيتكوين على عتبة الـ100 ألف دولار... ماذا حصل؟

نفط

هل تغيّر اضطرابات البحر الأحمر خريطة النفط العالمية نهائياً؟

كتاب النهار العربي

هذا ما يعيق إعلان الدبلوماسيّة بين لبنان وإسرائيل انتصارها على الحرب!

SPONSORED CONTENT

Keto Guru
لأطباء في حالة صدمة! -19 كجم شهرياً بدون رياضة

Gialuron
طالبة لبنانية تكتشف طريقة الوزن بمعدل 15 كجم

Herbeauty
اتها مع السمنة إلى أول عارضة ممتلئة في فيكتوريا سيكرت

erries
أجمل 15 امرأة مصرية: تعرف

الأكثر مشاهدة

كتاب النهار العربي

ونستون تشرشل يشتمنا... فـ"وا عرباه"!

سوريا

الجولاني يلجأ إلى الحلّ العسكريّ ضدّ معارضيه... قمع...

رياضة عالمية

فرنسا إما كل شيء أو لا شيء في أمم أوروبا

فلسطين

تنديد أميركي و"اشمئزاز" إسرائيلي يعقبان مذكرات

اعتقال...

كتاب النهار العربي

جولة سوليفان مختلفة هذه المرّة

كتاب النهار العربي

رهانات صراع الدّيكة في مناظرتي بايدن وترامب

حمل الآن تطبيق النهار العربي الجديد
للإطلاع على أخر الأخبار والأحداث اليومية في لبنان والعالم
Download on the App Store
Get it on Google play

سياسة
العالم العربي
دوليات

الحدث
قمة جدة - 2023
أميركا تنتخب
زلزال تركيا وسوريا
العيد الوطني الإماراتي
مونديال 2022
cop27
إليزابيث الثانية
#قصة_لاجئ

اقتصاد
أحدث الأخبار
أسواق
نفط
تقارير

رياضة
رياضة عربية
رياضة عالمية

مقالات
كتاب النهار العربي
آراء

ثقافة
أخبار
معارض ومسارح
أفلام
كتب وكتّاب

لايف ستايل
موضة وجمال
سياحة
طبخ
من العالم

بودكاست
الأمن الدولي
في مكان
بودكاست مع نايلة
الآن... وبعد

التغيّر المناخي

Expo 2020

العراق ينتخب

الجزائر تنتخب

مسبار الأمل...
العرب إلى
المريخ

2020 سنة
الوباء

COVID 19

قوارب الموت

أوكرانيا

اليوم العالمي
للمرأة

الأمن الغذائي

رمضانيات

بايدن في
الشرق الأوسط

"طالبان" سنة
أولى

مجتمعات عربية

حصاد 2022

قمم الرياض

صراع السودان

تتويج تشارلز

انتخابات تركيا

فاغنر تتمرّد

COP28

زلزال المغرب

طوفان الأقصى

حصاد 2023

آسيا - أفريقيا

هل تريد الاشتراك في نشرتنا الاخباريّة؟

تابعنا على

جميع الحقوق محفوظة © 2024

برمجة و تطوير Born Interactive